نشأة التصوّف

قال ابن خلدون في المقدمة:

" هذا العلم من العلوم الشّرعية الحادثة في الملة . وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم ، طريقة الحقّ والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثّاني وما بعده ، وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفية والمتصوّفة ".[1]

ويستخلص من كلام ابن خلدون أنّ التصوّف كسلوك كان موجودا في حياة الصّحابة رضي الله عنهم لكن كتسمية وكعلم فهما حادثان . وهناك من يشبههما بالعلوم والفنون التي ظهرت بعد صدر الإسلام كالنحو مثلا الذي كان يجري على ألسنة العرب ولم تكن له قواعد تحفظ حتى ظهر اللحن فاضطروا لوضع علم النحو تقويما للألسن وحفاظا على اللغة وفصاحتها.

وإذا تتبعنا نشأة التصوّف وجدناه ظهر في ظروف معيّنة نحاول ذكر أهمها :

إنّ التحوّلات الحادثة بداية من القرن الثّاني للهجرة خاصّة في العصر العباسي. حيث توسّعت الفتوحات الإسلامية حتّى شملت مغرب الأرض ومشرقها . ويكفي للتدليل على ذلك ما قاله هارون الرشيد وهو ينظر إلى غيمة " أمطري أنّى شئت فإنّ خراجك سيأتيني " وهو دليل على اتّساع رقعة العالم الإسلامي . وبهذا الاتّساع دخلت شعوب كثيرة الإسلام ، وامتزجت ببعضها بكل ما تحمله من عقائد وأفكار وتقاليد .. ولم يكونوا على مستوى واحد من الإسلام والإيمان. فمنهم من استطاع أن يتخلّص من ماضيه ويلتزم بالدين الجديد عقيدة وشريعة ، ومنهم من بقيت فيه رواسب من هذا الماضي بما فيه الديانة التي كان عليها.

كما أنّ فتح هذه الأمصار أدّى إلى زيادة مداخيل الدولة حينئذ ، وبالتالي إلى ظهور الترف في حياة كثير من الناس. وازدهرت العلوم والمعارف خاصّة بعد حركة الجمع والتّدوين ثمّ حركة التّأليف والتّرجمة ... ونتج عن كل هذا :

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص:381

* ظهور مجتمع امتزجت فيه مظاهر الحياة ، وانتقل العرب من حياة البداوة البسيطة إلى حياة المدن المعقدة .

* تطور الحياة العلمية والفكرية والاجتماعية ، وأدّى هذا إلى بروز تيارات فكرية جديدة بعضها لم يكن له من الإسلام سوى التّسمية . وبلغ أحيانا بهم الترف كما يقال في هذا المجال ، فصاروا يعنون بالبحث في كل شيء ، وبنظم الشعر في كل صغيرة وكبيرة .

* انتشار الترف في حياة النّاس فبنيت القصور ، وامتلكت الجواري واستعمل الخدم والحشم.

* تأسّست أماكن للّهو والمجون وفتحت الخمارات وأعدّت أماكن للقيّنات ...

وفي هذه الأجواء تمايزت في المجتمع العباسي تيارت متناقضة ، أو لنقل الشّيء وضدّه . وقد غالى بعضهم في الانغماس في ملذات الحياة ، والركون إلى المجون واللهو، والمجاهرة به، واتّخاذ أماكن مكشوفة لذلك ، بل منهم من كان يجد اللّذة في هذه المجاهرة ، ولا يكتفي بإتيانه

سرا كأبي نوّاس الذي يقول [1]:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْراً وقُل لِي هِي الخَمْـرُ ولا تَسْقِنِي سِـرًّا إذَا أَمْكَنَ الجَـهْرُ

وبُحْ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى ودَعْنِي مِنَ الكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

وفئة أخرى في الطرف المقابل زهدت في هذه الملذات والتزمت بالطاعات ، وحرصت على أن لا يجرفها هذا التيار الهادر . ثم ما لبثت هذه الفئة أن انتقلت من حال إلى حال . ولهذا يمكننا القول بأنّ التصوّف جاء في مرحلة تالية لهذه المرحلة . ويمكننا تقسيم نشأة التّصوّف وبلوغه ما بلغ في هيئته الأخيرة إلى مراحل هي :

مرحلة الزّهد:(التّزهيد في الدنيا ومباهجها)

وفيها ظهرت مجموعة من الزهّاد عرفوا بالعلم والتّقوى والورع ، كما نقل عنهم الحرص على عبادة الله والتزام تعاليم دينه ، ولم يراعوا في ذلك لومة لائم . قدوتهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصّحابة رضوان الله عليهم . فقد آثروا الزّهد والتقشّف في الحياة الدنيا، وغلب عليهم الورع ومالوا إلى التعبّد من أجل نيل مرضاة الله في هذا العصر الذي بدأت فيه

---

[1] أبو نواس الحسن بن هانئ ، الديوان ، تح. ايدقالد قاغنر ، ط1 ، مطابع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2006م ، ج3ص127/126

ملامح الترف في الحياة والميل إلى اللهو والتلذذ بمباهج الدنيا وملذاتها . وكان رواد هذه المرحلة من التّابعين في القرن الثاني للهجرة . ومن أشهر هؤلاء الحسن البصري الذي قيل عنه :" هذا الرجل الذي يشبه كلامه كلام النبوة "، وعبد الله بن المبارك الذي شهد له النّاس بالفضل والعلم . وأثر عن كليهما كلام وشعر في التّزهيد في الدّنيا . وكانت هذه المرحلة ممهّدة للتي تليها . وعرف فيها

إضافة إلى هذه الأسماء أسماء أخرى زخرت بها كتب التّراجم والسيّر . ومن أعلام هذه المرحلة وأشهرهم على سبيل التمثيل :

1/ الحسن البصري :

هو أبو سعيد بن أبي الحسن يسار البصري . كان من سادات التّابعين وكبرائهم . أبوه مولى

زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، وأمّه خيرة مولاة أمّ سلمة زوج النّبي ﷺ ولد لسنتين بقيّتا من خلافة عمر رضي الله بالمدينة . وكانت إذا غابت أمّه في حاجة يبكي فتعطيه أم سلمة ، رضي الله عنها، ثديها تعلّله به إلى أن تجيء أمّه ، فدرّ عليه فشربه ، وقيل إنّ تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك . نشأ بوادي القرى ، وكان من أجمل أهل البصرة ، حتّى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث. وعرف بمواعظه البليغة ، قال عنه الغزالي:" كان الحسن أشبه النّاس بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصّحابة "[1]. وكان كثير البكاء والحزن ، ما رآه أحد إلاّ ظنّ أنّه حديث عهد بمصيبة . كما كان قليل النوم. جمع كل فنّ من علم وزهد وورع وعبادة . قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف . فقيل له أيهما كان أفصح ؟ قال: الحسن. وقد توفى مستهل رجب [110هـ] بالبصرة. وقال ابن سعد في طبقاته : كان جامعا، عالما، رفيعا، فقيها، حجّة مأمونا، عابدا، ناسكا كثير العلم فصيحا،

جميلا، وسيما[2].

---

[1] محمد بن محمد الغزالي أبو حامد[450هـ/505هـ] إحياء علوم الدين ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 1426هـ/ 2005م، ج1ص92 .

[2] ينظر: أبو عبد الله محمد بن سعيد بن مطيع ابن سعد [ت:230 هـ] الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت ، ج7ص156

وكان الحسن يقصّ في الحجّ ، فمرّ به علي بن الحسين عليهما السلام، فقال له: يا شيخ أترضى نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فللّه في أرضه معاد غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فثمّ دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا، قال: فلِمَ تُشْغل النّاس عن طواف البيت ؟ قال: فما قصّ الحسن بعدها.

توفي بالبصرة عشية الخميس مستهل رجب سنة عشر ومائة(110هـ) رضي الله عنه ، دفن بعد صلاة الجمعة ، وكانت جنازته مشهودة . إذ تبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به ، فلم تقم صلاة العصر بالجامع ، لأنّهم تبعوا كلهم الجنازة حتّى لم يبق بالمسجد من يصلّيها. وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين: رأيت كأنّ طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد، فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن، فلم يكن إلا قليلا حتّى مات الحسن.[1]

وقد كانت له مواقف مع بعض الخلفاء والولاة حفظتها كتب السيّر ، من ذلك مثلا :

** كتب إليه عمر بن عبد العزيز يقول له : إنّي قد ابتليت بهذا الأمر، فانظروا لي أعوانا يعينونني عليه . فكتب إليه الحسن: أمّا أبناء الدّنيا فلا تريدهم ، وأمّا أبناء الآخرة فلا يريدونك

فاستعن بالله والسلام.

** وله مع الحجّاج وقعات هائلة ، وسلّمه الله من شره ، وربما حضر مجلسه فلم يقم، بل يوسّع له ويجلس إلى جنبه ، ولا يغيّر كلامه الذي هو فيه.

ومن أقواله ومواعظه التي اشتهر بها :

** كان في جنازة وفيها نوائح ، ومعه رجل فهمّ الرجل بالرجوع فقال له الحسن: يا أخي إن كنت كلّما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك.

** قيل له : ألا ترى كثرة الوباء؟ فقال: أنفق ممسك ، وأقلع مذنب، واتّعظ جاحد.

---

[1] ينظر: ابن سعد [ت:230 هـ] الطبقات الكبرى ، ج7ص156 ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي [ت: 681هـ] ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، 1414هـ /1914م ، ج2ص72 ـ عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح [ت: 1089هـ] شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح. محمود الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، ط1 ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، 1406 هـ - 1986 م ، ج2ص51

** نظر إلى جنازة قد ازدحم النّاس عليها فقال: مالكم تزدحمون؟ ها تلك هي ساريته في المسجد ، اقعدوا تحتها حتّى تكونوا مثله.

** قيل له : إنّ فلاناً اغتابك ، فبعث إليه طبق حلوى وقال: بلغني أنّك أهديت إلي حسناتك فكافأتك.[1]

** قَالَ رحمه الله : ما أعطى اللَّه أحدا شيئا من الدُّنْيَا، إلا اختبارا، ولا منعه إلا اختبارا.[2]

** قال رحمه الله :"يا بن آدم: بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا. يا بن آدم: إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه ، الثّواء ههنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمّتكم آخر الأمم ، وأنتم آخر أمّتكم ، وقد أُسرِعَ بخياركم، فماذا تنتظرون؟ المعاينة؟ فكأن قد، هيهات هيهات! ذهبت الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم.[3]

** قال: أدركتُ قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: من عملَ بغير علم

كان ما يفسدُه أكثرَ ممّا يصلحه. . . وقال أيضا: قصَمَ ظهري عالِمٌ لا زُهْدَ معه ، وزاهِدٌ لا عِلْمَ معه ، هذا يدعو إلى جَهْلِه بِزُهدِه ، وهذا يُنَفِّر عن عِلمِه بِحِرْصِه.

** ليس الزّهد في الدّنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك.[1]

** قال رحمه اللَّه يومًا لرجل: كيفَ طَلَبُكَ للدُنيا؟ قال: شَدِيدٌ ، قالَ: فهل أدركتَ منها مَا تُريد؟ قال: لا ، قال: هذه التي طَلَبتَها لم تُدرك منها ما تريد فكيفَ بالَّتي لم تطلبها؟ [2].

---

[1] تراجع الأقوال في المصادر السابقة .

[2] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي [ت: 463هـ] ، تاريخ بغداد وذيوله ، تح. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت،5ص245

[3] أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية بيروت، ج2ص485

[1] عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي[ت:1363هـ] الذخائر والعبقريات(معجم ثقافي جامع)، مكتبة الثقافة

الدينية، مصر، ج1ص177.

[2] محمد بن أيدمر المستعصمي[639هـ/710هـ]، الدرّ الفريد وبيت القصيد، تح. كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1436 هـ- 2015م ،ج5ص65

2/عبد الله بن المبارك :

أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ثمّ المروزي الحافظ شيخ الإسلام. ولد سنة118هـ، ورحل سنة إحدى وأربعين ومائة فلقي التّابعين ، وأكثر الترحال في طلب العلم، وروى عن جماعة كثيرة ، وروى عنه خلائق وتفقّه بأبي حنيفة . قال العباس بن مصعب المروزي: جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام النّاس والشّجاعة والسّخاء. وقال شعيب بن حرب: سمعت سفيان الثّوري يقول: لو جهدت جهدي أن أكون في السّنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر[3]. صنف التّصانيف النافعة . وقال ابن حنبل : لم يكن في زمانه مثله ولا أطلب منه للعلم ؟ وقال ابن معين : كان ثقة متثبتاً . وكتب ما يقرب من عشرين ألف حديث . وكان غنياً رأس ماله نحوٌ من أربعمائة ألف درهم . وكان من فحول الشّعراء . ولما بلغ

الرشيد موته قال : مات سيّد العلماء [1]. وقد شهد له العلماء والصالحون من التّابعين وغيرهم

بالفضل. وقال فيه ابن عيينة :« نظرت في أمر الصّحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه». وقيل لعبد الله بن المبارك يا أبا عبد الرحمن إلى متّى تكتب هذا الحديث فقال لعلّ الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد.[2]

عرف أيضا بتجهيزه لجيوش المسلمين الفاتحة والمشاركة فيها ، وقد لام الفضيل بن عياض المعروف أيضا بتقواه وزهده على ملازمته المسجد للعبادة وعدم المشاركة في الفتوحات فأرسل إليه شعرا قائلا [3] :

---

[3] جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي [813هـ/874هـ] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تح. محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413هـ/1992م، ج2ص133

[1] ينظر : صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي [ت: 764هـ] الوافي بالوفيات ، تح. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ- 2000م ج17ص226

[2] ينظر كلام ابن عيينة وابن المبارك في : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي [ت: 597هـ] صفة الصفوة ، تح. أحمد بن علي ، دار الحديث، القاهرة، مصر ، 1421هـ/2000م ج2ص326 . حذف من الأقوال رواتها .

[3] ينظر: الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك ، الديوان ، جمعه وحققه مجاهد مصطفى بهجت ، الرياض ، 1432هـ ، ص161

يَا عَابِدَ الحَرَمَينِ لَو أَبْصَرْتَنَا لَعَلِمْت أَنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَن كَانَ يَخْضِبُ جِيدَه بِدُمُوعِه فَنُحُورُنَا بدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أو كانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ
رِيحُ العَبِيرِ لَكُم ونَحْن عَبِيرُنَا وَهَجُ السَّنَابِكِ والغُبَارُ الأَطْيَبُ
ولَقَد أَتَانَا مِنْ مَقَال نَبِيِّنَا قَولٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لا يَكْذِبُ
لا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللهِ فِي أَنْفِ امْرِئٍ ودُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
هَذا كِتَابُ اللهِ يَنطِقُ بَينَنَا لَيسَ الشَّهِيدُ بِمَيتٍ لا يكذبُ

فلما قرأه ذرفت عيناه ، ثمّ قال: صدق أبوعبد الرحمن ونصح.

كان عبد الله بن المبارك حكيما متبصرا مقدّرا للأمور ، ومحلّلا لأسبابها. فقد رأى ، وهو الحريص على الدّين ، أنّ من حماة الدّين من يسيئ إليه كالملوك والرهبان الذين يتّخذون الدّين بضاعة يتاجرون بها فيبيعونها بأثمان بخسة ، ولا يرى في ذلك إلا كمن يرتع في الجيفة النتنة فالدنيا في نظره لا قيمة لها [1]:

وَهَل بَدَّلَ الدِّينَ إِلَّا المُلُوك وَأَحْبَارُ سُوءٍ ورُهْبَانُهَا
وبَاعُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرْبَحُوا وَلَمْ تُغْلَ فِي البَيْعِ أَثْمَانُهَا
لَقَدْ رَتَعَ القَومُ فِي جِيفَةٍ يبِينُ لِذِي العَقْلِ إِنْتَانُهَا

وربما خدع النّاسَ مظهرُهم ، وحسبوا أنّ الزهد والتديّن لباس صوف يميز لابسيه عن غيرهم ، فراح يصحّح هذا المفهوم الخاطئ والذي يغري صاحبه في هذه الأبيات فقال [2]:

ذر التَزَيُّنَ فِي دُنْيَاكَ بالدِّينِ واعْمَلْ لِيَومٍ تُجَازَى بالمَوَازِينِ
لَيسَ اللِّباسُ لِبَاسَ الصُّوفِ مِن عَمَلٍ ولا لِأَخْذِكَ شعْرًا كالمِجَانِينِ
هَذَا اللِّبَاسُ مَعَ الرُّهْبَانِ فِي شعَثٍ فَهَلْ تَرَاهُ نجَاةً للرَهَابِينِ
قَد يَفْتَحُ المِرْءُ حَانُوتًا لِمَتْجَرِه وقدْ فَتَحْتُ لكَ الحَانُوتَ بالدِّينِ

وكما دأب الجيل الأوّل من الذين اشتهروا بالزهد على التزام الأخلاق وتهذيب النفس

---

[1] الديوان ، ص115

[2] الديوان ، ص118

وتطهيرها من كل قبيح ، وهو ما أخذ به الصّوفية الذين وجدوا التصوّف خُلُقا، فإنّ عبدالله بن المبارك يحرص على ذلك إذ يقول عن تزكية النفس[1]:

أَدَّبْتُ نَفسِـــي فَمَا وَجَدْتُ لَهَا مِن بَعْدِ تَقْـــوَى اللهِ منْ أَدَب
فِي كُلِّ حَالَاتِهَا وإِنْ قَصَّرْت أَفْضَلُ مِن صَمْتِها عنِ الكَذِبِ
وغَيْبَـــةُ الـنَّاسِ إِنْ غِبتَـــهُم حَرَّمَها ذُو الجَلَالِ فِي الكُتُـبِ
قُلْـتُ لَـهَا طَائِـعًا . وأَكْرِمها . الحِلْمُ والعِلْمُ زَيْنُ ذِي الحَسَبِ
إِنْ كَانَ مِن فِضَّةٍ كَلُامُكِ يَا نَفسُ فَإِنَّ السُّكُـوتَ منْ ذَهَبٍ

وإذا كان بعض الصّوفية الذين ظهروا بعد ابن المبارك يجدون متعة في الخلوة والمناجاة ، فإنّ ابن المبارك يجد متعة الخلوة في الجلوس إلى الكتب فيقول[2]:

ولِـي جُلَـسَاءُ مَا أَمَّلُ حَدِيثَـــهُمْ الباء مَأْمُونُونَ غَـيْبًا ومَشْهَـدَا
إِذَا مَا اجْتَمَعْـنَا كَانَ حُسْنُ حَدِيثِهِم مَعِينًا عَلى دَفْعِ الهُمُـومِ مُؤَيّـدَا
يُفِيدُونَنِي مِن عِلْمِهِم عِلْمَ مَا مَضَى وعَقـــلًا وتَأْديـبًا ورَأيًا مُسَـــدّدَا
بِلَا رَقْبة أَخْشَـى ولَا سُوءَ عَـــثْرَةٍ ولَا أَتَّقِـي مِنْهُـم لِسَانًا ولا يَـدَا
فَإِنْ قُلْتَ: أَحْـيَاءُ فلَسْـتَ بِكَاذِبٍ وإِنْ قُلْـتَ: أَمْوَاتٌ فَلَسْتَ مُفَنِّدَا

ويرى العلم معيارا في إكبار الرجال أو استصغارهم فيقول [3]:

تعَلَّمْ فَليسَ المرءُ يُولَدُ عَالِمًا ولَيسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُو جَاهِلُ
وَإِنَّ كَبِيرَ القَومِ لَا عِلْمَ عِنْدَه صَغِيرٌ إِذَا الْتَفَّتْ عَليهِ المِحَافِلُ

ومما يخلي الصّوفي باطنه منه الحسد الذي يهلك صاحبه فقال ذامّا له ولصاحبه الذي لا يبرأ منه إلا بالإنابة إلى الله تعالى فقال[1] :

كُلُّ العَدَاوَةِ قُدْ تُرجَـى إِمَاتَتُـــهَا إِلَّا عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاكَ مِن حَسَدِ
فَإِنَّ فِي القَلْبِ مِنهَا عُقْدَةً عُقِدَتْ ولَيسَ يَفْتَحُـــهَا رَاقٍ إلى الأَبَـدِ
إِلَّا الإِلَه فَإِنْ يَرْحَـمْ تُـــحَلّ بـــه وإِنْ أَبَاه فَلَا تَرْجُـــوه منْ أَحَـدِ

---

[1] الديوان ، ص128
[2] الديوان ، ص136
[3] الديوان ، ص157
[1] الديوان ، ص137

ممّا عرف به الزهاد إعراضهم عن الدنيا ، والزهد فيما في أيدي الناس ، وطلبه من الله من الأمور التي أمر بها الرسول ﷺ ولذلك نرى ابن المبارك داعيا إليه قائلا [2]:

لا تَضَرَّعنْ لِمَخلُوقٍ على طَمَعٍ فَإِنَّ ذَاكَ مُضِـرٌّ مِنـكَ بِالدِّينِ

وَاسْتَرْزِقْ اللهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِـــه فَإِنَّما هِي بينَ الكَافِ والنُّـونِ

أَلَا تَرَى: كُلَّ مَنْ تَرْجُو وتَأْمَلُه مِنَ البَرِيَّةِ مِسْكِينٌ ابنُ مِسْكِين

ولا يرى الخير في المال إلا في إنفاقه وإلا فهو مُسْكِر لصاحبه يعيش به في غفلة[3] :

لا خيرَ فِي المالِ لِكُنَّازِهِ إِلَّا جَـــوَاد الكَفّ نَهَّابه

يَفْعَـل أَحْيـــانًا بِـزُوَارِهِ مَا يَفعَلُ الخَمْــرُ بِشُرَّابِه

---

[2] الديوان ، ص162

[3] الديوان ، ص64